البرنامج المعتمد في مشروع التكوين للسداسي الثالث:

وحدة التعليم الساسية

المادة: تاريخ الجزائر الثقافي .

الرصيد : 05 المعامل : 02 الحجم الساعي خلال السداسي :45 ساعة.

الحجم الساعي الأسبوعي : 01ساعة و30 د محاضرة -01ساعة و 30 د تطبيق.

طريقة التقييم : متواصل + إمتحان

أهداف التعليم:
(***ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر*** **)**
يهدف الى تعرف الطالب على مدى مساهمة الجزائر الحديثة في الحضارة العربية الإسلامية، والحديثة مع تقييم المقاومة الثقافية ضد الغزو الثقافي الفرنسي.

المعارف المسبقة المطلوبة :
(***وصف تفصيلي للمعرفة المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر)***
تاريخ الجزائر في العصر الاسلامي.

طريقة التقييم:
علامة الأعمال الموجهة50% +الامتحان. 50%

البرنامج:

1- **تراث القرن 15م.**
- **مؤثرات الحياة الثقافية**
- **العلماء والأمراء**
- **اللغة العربية والأدب العربي**
- **العلوم والمنطق**

2- **علم الكلام والفلسفة**
- **العلوم والمنطق**
- **القراءات والتفسير والعلوم الشرعية**

3- **المؤسسات الثقافية**
- **الأوقاف المساجد والزوايا**
- **المكتبات والمعاهد**

المحاضرة رقم 01

المقدمة:

عند ظهور الإسلام في القرن السادس الميلادي كانت أكثر مناطق شمال إفريقيا متخلفة ، يغلب عليها النظام القبلي ويسودها الاضطراب السياسي، والاختلال الاجتماعي القائم في ظل حكم ممالك أمازيغية مترامية الأطراف [1].

وبوصول الإسلام أوجد حالة من الوعي وأنتجت حضارة جديدة تشتمل على نهضة علمية اعتمدت على الأصول الإسلامية ونهلت من علوم العرب الذين أوصلوا تلك الحضارة.

وتهيأت الأسباب التي أعطت لهذه النهضة بعدها المكاني والزماني فانتشرت في الحواضر الجزائرية حياة ثقافية جديدة بفضل ازدهار التجارة، وتوافد عدد كبير من السكان والقبائل بعضهم جاء لغرض نشر الدعوة الإسلامية، وأخذت تلك الحواضر في الجزائر تنمو وتزدهر بالرغم من البطئ في هذه العملية.

ومع بداية التاريخ الحديث أضحت حواضر الجزائر نموذجا من الحياة العلمية التي كانت سائدة في البلاد الإسلامية الأخرى.

فكان لهذه النهضة بعدها المحلي المتناغم مع ما جاء به العرب والمسلمون من الشرق الذي أخذ يتفاعل داخل المجتمع الجزائري فأنتجت المدارس والكتاتيب والجامعات وأضحت تلمسان وبجاية وقسنطينة من حواضر البلاد الإسلامية التي نالت القدر الكافي من الشهرة في البلاد الإسلامية فنشطت العلوم ، وارتحل الطلبة إلى مدارس فاس وتلمسان والقيروان والقاهرة والحجاز وانتقل الكثير من العلماء من تلك المناطق الإسلامية إلى بلاد السودان الغربي ليؤكدوا أن الإسلام دين

[1]. احمد،لفرجاوي بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، تونس، 1993، ص126.

العلم والحضارة و أنهم جاؤوا لنشر هذه الرسالة فأخرجوا الجزائري من إطار العصبية والقبلية الضيقة [2]، والعادات والتقاليد القديمة إلى حياة جديدة أساسها العلم، فظهر سلوك جديد للناس وتوجه نحو الحياة الثقافية التي كان أهم مظاهرها انتشار اللغة العربية والمذاهب الإسلامية وتنوع مناهج ومواد التدريس وهو ما سأتناوله في هذا البحث.

إن الدراسة التاريخية للحياة الثقافية ليست نظما سياسية، أو اسر حاكمة تظهر وتختفي وإنما هي عملية تربوية تعليمية فكرية ترتبط بحياة العلماء و المفكرين الذين يقضون حياتهم في محراب الفكر إلى آن تنموا الحضارة وتنعكس على سائر الحياة بالتقدم والازدهار.

[2]. البركي مفتاح محمد سعد، الصراع القرطاجي الإغريقي، من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق م. وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاجة، نشر مجلس الثقافة العام، بنغازي، الجماهيرية الليبية، 2008 ، ص ص 63،71.

المبحث الأول: تراث القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي(09 هـ/ 15م):

أولا : مؤثرات الحياة الثقافية:

1- المؤثرات السياسية :

إن المتتبع لتاريخ الجزائر في العصر الحديث والمعاصر، يلاحظ أنها كانت منطقة صراع بين القوى الكبرى على الحكم من الشرق والغرب، إذ ظلت هذه المنطقة تشهد نزاعات وحروب بين الدول المتصارعة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، كل منها يعمل جاهدا على جعلها منطقة نفوذ خاضعة له، وهذا كله اثر على الأوضاع الثقافية في البلاد.

فقد أتسم حكم الزيانيين في القرن 15م بحالة من الضعف والأنحطاط ، حيث كانت الجزائر تعيش أوضاعًا جد مضطربة نتيجة محاولات المرينيين في المغرب الأقصى، والحفصيين في المغرب الأدنى التدخل في شؤونها الداخلية، والتلاعب بأقدارها ومصيرها، ومحاولة الإطاحة بها من كل جانب تمهيدًا لاحتوائها، أضف إلى ذلك الصراع حول السلطة داخل البيت الزياني [3].

إن هذه الوضعية التي آل إليها المغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني من صراعات داخلية، وتدخلات مرينية وحفصية، وسيطرة القبائل على الكثير من المناطق، كل ذلك جعل شواطئ المغرب ومدنه على وجه الخصوص عرضة لتهديدات الجيوش الإسبانية وهجماته المتكررة، فنقلوا بذلك الحرب من أرض الإسبان إلى أرض بلاد المغرب الأوسط، وخنقوا بذلك الدولة الزيانية وهددوها، وزادت وحدة الدولة تصدعًا، وضعف ملوك بنو زيان المتأخرين على مقاومتهم [4].

وقد استعمل الإسبان كل الوسائل للتوغل داخل البلاد، فبعد أن كانت سيطرتهم لا تتعدى وهران وضواحيها القريبة، امتدت إلى أبعد من ذلك لا بقوة السلاح فقط، بل لعدم وعي ملوك بني زيان المتأخرين وشعورهم بالخطر المحدق بهم وبالتالي وأمام هذا الوضع المضطرب الذي عاشته الدولة كان لابد من مواجهة هذا الخطر، فاستنجد الجزائريون بالعثمانيين الذين لبوا النداء للوقوف في وجه هذا الخطر الصليبي، وتمكنوا من تحرير سواحل الجزائر وتطهيرها من

---

[3].نوال سقاي : مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 02 ، 2008، ص 44.

[4]. عدنان العطار، الدولة العثمانية من الميلاد ، جمع وا عداد: محمد قباني، دار الأصالة، الجزائر، 2009، ص64.

الخطر الإسباني وأصبحت الجزائر بعد سقوط الزيانيين ولاية عثمانية، شهدت استقرار نسبي وخاصة في القرنين 16و17م [5].

2- المؤثرات الأقتصادية :

مما لا يختلف فيه اثنان هو الأثر البارز الذي كان يشكله الجانب الاقتصادي في الجزائر إبان

الحقبة العثمانية؛ إذ كانت له تأثيرات واضحة وانعكاسات جمة ساهمت بشكل كبير على الحياة الثقافية والعلمية، فالأوضاع الاقتصادية كانت توجهها العلاقات الخارجية، وذلك من خلال نشاط القرصنة والإتاوات [6].

ومما يمكن أن نستشفه عن الوضعية الاقتصادية التي ميزت الجزائر إبان الحقبة التركية أنها كانت تستفيد من مداخيل القرصنة أو الجهاد البحري الذي تحول إلى مؤسسة قائمة بذاتها [7] فقد «بدأت البحرية الجزائرية في العهد العثماني تتميز بنوع من الاستقلال عن باقي الأساطيل المغاربية، وأصبحت تشكل قوة بحرية خاصة»[8] فنظمت طرق التوظيف والتمويل والعمليات البحرية وتطورت الجزائر تطورا ملحوظا حيث أشرفت الدولة على تنظيم الإقتصاد بإقامة الأسواق الداخلية والخارجية و تحديد العلاقة بين السلطة و الرعية في هذا المجال، و قد تم تدعيم الإقتصاد الجزائري بمصادر جديدة للدخل تمثلت فيما كانت تدفعه الدول الأوربية من ضرائب وأتوات لقاء السلم والتجارة أو لتحرير الأسرى، وإنعكست الأوضاع الأقتصادية إيجابيا على الحياة الثقافية والعلمية.

3-المؤثرات الأجتماعية :

مما لاشك فيه أن العوامل الإجتماعية لها تأثير على الحياة الثقافية في الجزائر خلال التاريخ الحديث و المعاصر، خاصة في ظل الوجود المسيحي، واليهودي، وهجرة الأندلسيين خلال القرن التاسع هجري/ الخامس عشر الميلادي [9].

---

[5]. خالد بلعربي، الوضع السياسي في الجزائر أواخر سقوط الدولة الزيانية.- دورية كان التاريخية.- العدد الثالث والعشرون؛ مارس 2014. ص 100 – 105.

[6]. عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي ، مرجع سابق، ص 307 .

[7]. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية. دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.، ص 387.

[8]. المرجع نفسه، ص 188 .

[9]. كان لهجرة الأندلسيين أثر كبير على المجتمع الجزائري من جميع النواحي. ولعل القرن التاسع قد شهد أكبر موجة من موجات هذه الهجرة. ففيه اشتدت وطأة الاسبان على بقايا المسلمين في الأندلس. وفيه سقطت (سنة1492) آخر قلعة لهم هناك. لذلك تدفقت أمواج ويبحثون في نفس الوقت عن طريق العودة والثأر. وقد احتكر الأندلسيون ميدان التعليم في الحواضر، ونقلوا طريقتهم الخاصة بهم إلها. ومن ذلك عدم الاقتصار في تعليم الأطفال على حفظ القرآن كما كان الحال قبلهم بل أضافوا إليه تعليم الحديث والقواعد العامة لمختلف العلوم تدارس بعضها، كما علموا روايات القرآن وأنواع قراءاته.

وبالرغم مما إتسمت به الأوضاع الإجتماعية بالفوضى والإضطرابات ، وتأثرها أيضا بالأمراض والأوبئة ، وحتى الكوارث الطبيعية ، إذ كانت الحياة الريفية تعرف قساوة شديدة ، فكثيرا ما كانت تتعرض للغارات التركية لعدم إستجابتها دفع الضرائب المفروضة عليها، وكذا كانت القبائل الجزائرية تعيش خلافات على الأرض، الأمر الذي حال دون إنصهار المجتمع في بوتقة واحدة مع الأتراك، حيث بقي المجتمع يعيش فترة موحشة وعداوات قاتلة [10]. كما شهدت الجزائر خلال القرنين 14 و15م تدهورا إقتصاديا وإنحطاطا إجتماعيا صاحبه سوء الأحوال الصحية والمعيشية وزادت من حدتها هجمات الإسبان على السواحل مما أدى إلى إنعدام الأمن الذي ساعد على تخريب المدن مثل دلس وبجاية، إضافة إلى إنتشار الأوبئة إثر ظهور المجاعات والجفاف خلال 1584، و1663، و1787.

مما أدى إلى إختلال عدد السكان في القرن التاسع عشر ميلادي [11] نتيجة إنتشار الأمراض في مختلف جهات الوطن، ويضاف إلى هذا حدوث الكوارث الطبيعية التي أدت إلى تضرر الإقتصاد وتناقص عدد السكان منها زلزال 1716 الذي خرب مدينة الجزائر، إضافة إلى الفيضانات والعواصف التي غطت بها المياه مساحة واسعة كفيضانات عام 1816[12].

وهكذا تميزت المرحلة الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر بفترات عصيبة وقاسية، نتيجة تدهور الأوضاع الإقتصادية والذي أثر سلبا على الحالة الصحية والمعيشية، كما إنعكس بدوره على الوضع الديمغرافي بعدم استقراره من حيث العدد والكثافة، إذ نجد أغلب السكان يعيشون في الريف الجزائري بنسبة 90% [13] بينما نجد أقلية ضئيلة بالمدن لا تتجاوز 5% [14].

ويعود هذا التدهور في الجانب الإجتماعي لعدم إهتمام الحكام الأتراك بأمور الصحة ، كما أن هذا الإهمال أدى إلى إنتقال العدوى من المشرق وإنتشار الأمراض بالجزائر منها الطاعون والكوليرا، وما ساعدها على التوطن إنتشار المستنقعات بالسهول الساحلية، وحول المدن الكبرى مثل عنابة، والجزائر، ووهران، وكذا عدم إلتزام السكان بالقواعد الصحية، وإنعدام الأدوية الموجودة بالجزائر ما عدا بعض الحشائش والعقاقير [15].

ثانيا العلماء والأمراء:

---

[10]. صالح فركوس: تاريخ الجزائر الثقافي، ص 170.

[11]. ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص58.

[12]. نفس المرجع، ص564.

[13]. عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي، ط2، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965،ص138.

[14]. ناصر الدين سعيدوني. النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، 1792 - 1830المؤسسة الوطنية للكتاب،، 1985،ص 41.

[15]. ناصر الدين سعيدوني، ورقات...، مرجع سابق، ص559- 564.

عرفت الجزائر خلال التاريخ الحديث والمعاصر هجرة واسعة لعدد هام من علمائها نحو مناطق عديدة من العالم الإسلامي ، و خاصة نحو المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي، مما شكل نزيفا خطيرا وأثر تأثيرا سلبيا على الحركة العلمية في الجزائر آنذاك [16].

وقد تعددت الأسباب والدوافع التي دفعت بهؤلاء العلماء إلى المغادرة ، ومن بينها تراجع الحركة العلمية وتدهور التعليم في تلك المرحلة حسب ما تؤكده بعض المصادر، وهي الظاهرة التي مست معظم العالم الإسلامي، فلا نكاد نصادف خلال هذه المرحلة إلا عددا قليلا من العلماء الذين ذاع صيتهم. ولم يكن هذا غريبا على تلك الفترة، خاصة وأن الأتراك العثمانيين ركزوا كل اهتمامهم على حركة الجهاد البحري وصد هجمات الأوربيين (الكفار) المتتالية على سواحل الجزائر، ولهذا لم يولوا الثقافة الاهتمام الذي تستحقه، فغلب على عهدهم الجمود الفكري والثقافي، وربما كذلك لأنهم كانوا أعاجم لا يتقنون لغة أهل البلد .

غير أن هذا لا ينفي أبدا وجود حركة ثقافية ورثتها بعض الحواضر كتلمسان[17] وبجاية ومازونة وقسنطينة عن الفترة السابقة للعهد العثماني، فكان نتاج ذلك أن نبغ عدد هام من العلماء تركوا لنا رصيدا علميا وأدبيا معتبرا، ويضاف إلى ذلك أن بعض الحكام، خاصة الدايات، شجعوا العلم والعلماء، ومن هؤلاء محمد بكداش (1707- 1710)، الذي كان له نصيب وافر من العلم، فقرب إليه العلماء والأدباء الذين أصبحوا من جلسائه، مما أثر إيجابيا على تطور الحركة الثقافية في شتى المجالات[18].

ومن بين هؤلاء العلماء نجد:

المحاضرة رقم 02

ومن بين هؤلاء العلماء نجد:

1- أبو العباس أحمد الونشريسي (834هـ /1430م - 914هـ / 1509م):

---

[16]. عبدالحميد حاجيات : تلمسان مركز الأشعاع الثقافي في المغرب الأوسط ، مجلة الحضارة الأسلامية ، ع01 ، أفريل 1993 ، ص34.

[17].ذكرها إبن خلدون في مقدمته ، للمزيد أنظر إبن خلدون المقدمة ، دار صادر ، بيروت ،لبنان ، ص 1038.

[18]. بوشنافي محمد: هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني (1520- 183 مجلة المواقف ، كلية العلوم الأنسانية والأجتماعية ، جامعة معسكر ، العدد11 ، ديسمبر2016 ، ص ص 99-108.

هو أحمد بن يحي الونشريسي المعروف بأبو العباس الونشريسي ، التلمساني منشأ وأصلا، الفاسي منزلا ومدفنا، من علماء الجزائر الأعلام وفقهائها البارزين في القرن التاسع الهجري، ولد حوالي سنة (834هـ/1430م) بمنطقة الحجالوة بجبال الونشريس (بلدية الأزهرية حاليا ولاية تيسمسيلت) في الجزائر حيث حفظ القرآن وتعلم مبادئ العربية في كتاب قريته.

تعلمه في تلمسان:

لما لاحظ والده حبه للعلم واجتهاده في طلبه، انتقل به إلى مدينة تلمسان وكانت إذ ذاك حاضرة العلم والعلماء في المغرب الأوسط ، حيث أخذ عن خيرة علمائها منهم:

- الإمام أبو الفضل، قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني المالكي (ت 854 هـ) قال عنه أحمد بابا: "شيخ الإسلام ومفتي الأنام الفرد العلامة الحافظ القدوة العارف المجتهد المعمر ابن سعيد بن محمد العقباني التلمساني قاضي بجاية، وتلمسان وله في ولاية القضاء مدة تزيد على أربعين سنة، وهو كبير عائلة العقبانيون العلماء".

وابنه قاضي الجماعة بتلمسان أبو سالم إبراهيم بن قاسم بن سعيد العقباني (ت 880 هـ).

وحفيده القاضي محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني (ت871هـ)، والإمام شيخ شيوخ وقته في تلمسان ، الفقيه المفسر، النحوي أبو عبد الله محمد بن العباس الشهير بابن العباس (ت871هـ).

والحافظ المحصِّل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى بن الجلاب (ت875هـ) والعالم المشارك المؤلف النّظّام أبو العباس أحمد ابن زكري التلمساني (ت899هـ) والعالم الخطيب الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد ابن مرزوق الكفيف (ت910هـ)وقد وصفه الونشريسي في وفياته: "بالفقيه الحافظ المصقع ، و بالمحدث المسند الراوية "[19].

والعالم الفقيه ابن عيسى بن يحي المازوني (ت833هـ/1478م)" فقيه مالكي من اهل مازونة من أعمال وهران، ولي قضاء بلده، له كتاب: " الدرر الكامنة في نوازل مازونة " وهي فتاوي ضخمة في ديوانين في فتاوى معاصريه من أهل تونس

[19]. لخضر عبدلي : الحخياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، 2005 ، ص89.

وبجاية والجزائر وتلمسان وغيرهم، ومنه استمد الونشريسي مع نوازل البرزلي وغيرها، رحل إلى تلمسان حاضرة بني زيان، فأصبح أحد ابرز وجوهها العلمية في الفقه المالكي[20].

قال عنه الونشريسي: " الصدر الأوحد العلامة العلم الفضال ذي الخلال السنية ، سني الخصال شيخنا ومفيدنا وملاذنا وسيدنا، ومولانا وبركة بلادنا أبي زكريا يحي وهو من العلماء الكبار الذين تناولوا الفتوى، وأصبحوا مرجعية فقهية، ولم يتوظف بعلمه عند السلطة ".

والشيخ العالم المحدث أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مخلوف الراشدي (ت868هـ).

المعروف بابركان (يعني الأسود بالبربرية)، فقيه مالكي محدث من أهل تلمسان مؤلف: "الزند الواري في ضبط رجال البخاري " و " فتح المبهم في ضبط رجال مسلم." و " المشرع المهيأ في ضبط مشكل رجال الموطأ " وغيرها .

عُرف عن أحمد الونشريسي أنه كان شديد الشكيمة في دين الله لا تأخذه في الله لومة لائم لذلك لم يكن له مع أمراء وقته كثير اتصال و قد كان نشأ في عهد السلطان أبو عبد الله محمد بن أبي ثابت المتوكل على الله الزياني الذي اشتهر بتشجيعه للعلماء ورعايتهم ورغم ذلك فقد حاول السلطان الزياني إخضاع أحمد بن يحي الونشريسي فصادر أمواله واقتحم عليه داره فهدمها ونجى منها بسلام وغادر تلمسان مكرها متوجها إلى فاس بالمغرب الأقصى عام (874هـ)[21] .

- **رحيله إلى فاس:**

خرج أبو العباس هاربا إلى فاس، وكان ذلك في أول المحرم من سنة (874هـ/11جويلية1469م)، ولما وصل فاس لقي من أهلها كل ترحيب وتبجيل واحتفى به علمائها وفقهائها، وأقبل عليه العلماء وطلبة العلم ينهلون من دروسه وفقهه ما جعله ينسى غربته، فاستوطنها هو وأهله، وأقام بها منكبا على تدريس المدونة ومختصر ابن الحاجب وكان متمكنا من الفقه المالكي مشتغلا به تعليما وتأليفا وفتياً كما أنه اشتهر بالنحو وفصاحة اللسان والكتابة حيث قيل عنه لو حضر سبويه لأخذ النحو من عنده، ويذكر الحفناوي أنه استفاد من نوازل البرزلي والمازوني فيما يتعلق بفتاوى أفريقية (تونس) وفتاوى فقهاء تلمسان كما يبدو ذلك لمن قارن كتابه هذا بهذه الكتب، وكان يحضر مجالس قاضي الجماعة محمد اليفرني المكناسي، حيث لم يمنعه كبر سنه من طلب العلم والجلوس للأخذ و التلقى عن العلماء.

---

[20]. منصة البيانات المفتوحة من المكتبة الوطنية الفرنسية — http://data.bnf.fr/ark:/12148/cb13484853p — تاريخ الاطلاع: 10 أكتوبر 2015 —

[21]. مؤيد محمود حمد المشهداني : أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830 ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، جامعة تكريت ، مجلد 05 عدد 16 ، نيسان 2013 ، ص 436، 437.

مكانته بين علماء عصره :

مما يدل على مكانة الونشريسي بين علماء عصره [22]، شهادة كبار العلماء له بالفضل، والعلم، والريادة، فهذا معاصره ابن غازي يقول وقد مرَّ به المترجم يوما بجامع القرويين: «لو أن رجلا حلف بالطلاق أن أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك: أصوله، وفروعه، لكان باراً في يمينه، ولا تطلق عليه زوجته؛ لتبحره، وكثرة اطلاعه، وحفظه، وإتقانه، وكل من يطالع تواليفه يقضي بذلك».

كما نوّه به في رسالة أجابه فيها عن مسائل علمية، والتي جعل عنونها: الإشارات الحسان إلى حَبر فاس وتلمسان. وحلّاه ابن عسكر في دوحته بقوله: الشيخ الإمام، العالم العلامة، المصنف الأبرع، الفقيه الأكمل الأرفع، البحر الزاخر، والكوكب الباهر، حجة المغاربة على أهل الأقاليم، وفخرهم الذي لا يجحده جاهل ولا عالم... كان - رحمه الله - من كبار العلماء الراسخين، والأئمة المحققين [23].

وقال أحمد المنجور في فهرسته : وكان مشاركا في فنون العلم إلا أنه لما لازم تدريس الفقه يقول من لا يعرفه: إنه لا يعرف غيره، وكان فصيح اللسان والقلم حتى كان بعض من يحضره يقول: لو حضر سيبويه لأخذ النحو من فِيهِ.

قيل عند وفاته :

لقد أظلمت فاس بل الغرب كله بموت الفقيه الونشريسي أحمد

رئيس ذوي الفتوى بغير منازع و عارف أحكام النوازل الأوحد

له دُربة فيها و رأي مسدد بإرشاده الأعلام في ذاك تهتد

و تالله ما في غربنا اليوم مثله و لا من يدانيه بطول تردد

عليه من الرحمن أفضل رحمة تروح على مثواه وتغتد

مؤلفاته :

[22].أبوالقاسم سعدالله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج02 ، (1500-1830) ،ط1 ، دار الغرب الأسلامي ، ص181.

[23]. عمار عمورة : الجزائر بوابة التاريخ ، ماقبل التاريخ إلى 1962 ، ج 02 ، دار المعرفة ، ص137.

كتابه " المعيار المُعْرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب"، وهو من أعظم الكتب التي كادت تحيط بمذهب الإمام مالك، والكتاب مطبوع متداول، وقد طبع بفاس في 12 مجلدا، جمع فيه فتاوى ونوازل ونصوصا ذات أهمية بالغة في معرفة الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية والاقتصادية في المغرب والأندلس في عصور مختلفة، قال صاحب نيل الابتهاج (جمع فأوعى وحصل فوعى).

إضاءة الحلل في الرد على من أفتى بتضمين الراعي المشترك، المنهج الفائق والمنهل الرائق بأدب الموثق، الولايات في مناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، ايضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، غنية المعاصر والتالي في شرح فقه وثائق أبي عبد الله الفشتالي، عدة البروق، في تلخيص ما في المذهب من الجموع والفروق، الفروق في مسائل الفقه مختصر أحكام البرزلي.

2- أحمد بن محمد المقري [24]:

ولد شهاب الدين المقري سنة (986 هـ/ 1578م) بمدينة تلمسان وأصل أسرته من قرية مقرة التي تقع في منطقة المسيلة ببلاد الزاب ، نشأ بمدينة تلمسان وطلب العلم فيها وكان من أهم شيوخه التلمسانيين عمه الشيخ سعيد المقري أمضى خلال سنواته هذه حياته في طلب العلم وحفظ القرآن الكريم وعلوم الشريعة [25].

انتقل إلى مدينة فاس في عهد السلطان السعدي أحمد المنصور ، ثم ذهب إلى مراكش لكنه عاد إلى مدينة فاس وبعد وفاة السلطان أحمد المنصور ، عينه السلطان زيدان الناصر بن أحمد مفتيا وإماما لمسجد القرويين سنة 1618م ، لكنه في نفس العام قرر الرحيل لأداء فريضة الحج بمكة المكرمة ، مر بمدينة القاهرة في العام الموالي ، ثم زار دمشق والقدس ثم توجه نحو مكة المكرمة وأخذ هنالك العلم وجلس للتدريس بالحرم، ثم ذهب لدمشق مرة ثانية وجلس للتدريس في علوم الفقه والحديث والتاريخ واللغة وأخذ يحدث الناس عن مفاخر وتاريخ الأندلس حيث أوقف نفسه لكتابة التاريخ الأندلسي واستمر في تصنيفه وخلالها عاد إلى القاهرة حيث وافته المنية سنة (1041هـ/1631م).

- مؤلفاته:

---

[24]. أبوالقاسم سعدالله : تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص223.

[25]. عبد العزيز فيلالي : تلمسان في العهد الزياني ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2002 ، ج2 ، ص 351.

يعد المقري أحد أبرز المؤرخين المسلمين في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، اشتهر صيطه العلمي في بقاع العالم الإسلامي ابتداء من تلمسان وفاس ومراكش ومصر والحجاز والشام خلال حكم الخلافة العثمانية، وشهد له معاصروه بالعلم وتدل على ذلك آثاره العلمية في شتى صنوف العلم [26].

يعتبر كتاب الرحلة إلى المغرب والمشرق من الآثار المفقودة لأبي العباس المقري لولا الهدية التي قدمتها حفيدة المستشرق الفرنسي جورج ديلفان سنة 1993م للمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، والمتمثلة في مجموعة من المخطوطات من بينها رحلة المقري [27].

يعد كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" أشهر مؤلفات المقري[28] كما يعد أحد أبرز المراجع العربية المعتمدة حول تاريخ الأندلس وتجدر الإشارة أن المقري ألّف كتابه نفح الطيب بطلب من أحمد بن شاهين الصقلي الدمشقي، الذي أعجبه الحديث الذي كان يدور بين المقري وعلماء دمشق حول عالم الأندلس لسان الدين بن الخطيب[29].

أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض من خمسة أجزاء.

روضة الأنس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس.

حسن الثنا في العفو عمن جنى.

عرف النشق في أخبار دمشق.

أرجوزة سماها إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة.

أرجوزة سماها زهر الكمامة في العمامة.

المحاضرة رقم 03

[26]. نوال سقاي : المرجع السابق ، ص 49.

[27]. أنظر أبوالقاسم سعدالله : محاضرات في تاريخ الجزائر،بداية الأحتلال ،ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،ص166.

[28].أحمد المقري نفح الطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، ، دار صادر، بيروت (1388هـ/ 1968م). ج1، ص: 56- 57.

[29]. مطبوعات القصر الملكي، تقديم الأستاذ: عبد الوهّاب بن منصور المطبعة الملكية، الرباط، 1383هـ/ 1964م).

1- عبدالكريم الفكون :

يعد العالم عبد الكريم الفكون واحدا من أبرز العلماء في عصره والمنفرد في منصب مفتي الحنفية والقضاء في قسنطينة في القرن السادس عشر الميلاد [30].

وأن هذه العائلة كانت تتمتع بنفود وجاه. تعرف العائلة سيدي الشيخ ولايزال إلى يومنا هذا.

ولد سنة 1580م في بيت إشتهر أهله بالعلم، نشأ الفكون في كنف والده الذي كان من أول شيوخه وحفظ على يده القرآن الكريم وتلقى المبادئ الأولية للعلوم في زاوية العائلة.

عكف عبد الكريم على تحصيل مختلف العلوم الشرعية واللغوية، ثم تولاه كبار شيوخ عصره، من أمثال سليمان «القشى» وعبد العزيز النفاتي الذى قرأ عليه الحساب وبعض الفرائض ومحمد بن راشد الزواوي ومحمد الفاسي المغربي [31].

أخذ العلم من أعلام قسنطينة وغيرهم، وعلى يديه تخرج فحول العلماء، كالشيخ مهدي عيسى الثعالبي وبركات بن باديس. كان محبا للقراءة ويغرد كأنما في علقة غصة يرنم فيبعث الوقور وأنغاما عذبة وبحلاوة.

يعتكف كثيرا على المطالعة وحده، والده الذب كان ينيبه أثناء غيابه رغم صغر سِنّه، أثنى عليه كبار العلماء كالعلامة أحمد المقري في كتابه نفح الطيب وتلميذه العياشي في رحلته ماء الموائد والثعالبي في كنز الرواة.

ظهر عليه النبوغ والذكاء في سن مبكرة، فكان بارعا في فنون اللغة لغة ونحوا وتصريفا وبلاغة مع المشاركة التامة في فقه والأصليين، الحديث والتصوف وذلك دليل على سلامة ذوقه وكمال عقله وبلغ درجة الكمال في أناقتها وأقوالها وطريقة تنظيم أسلوب اللغة. فمروءة المرء في أناقته وجمال حديثه وطهارة قلبه. تعلم في زاوية العائلة وفي مصلى بيته، إنها معاهد العزة يترشف منها حلاوة العلم ويتعلم مجال التربية، وكيف يجب أن نكون عظماء متواضعين في الدراسة وبها يتقدم المجتمع ويصير عظيما.

فالزاوية كانت خلايا نحل دائمة النشاط تخرج للطلبة شُهدا تعلم فيها أسلوب التعامل مع الحياة، إنها منارات على طريق التحرر من العبودية والقضاء على الجهل [32].

---

[30]. التميمي ، عبد الجليل: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ، الجزائر تونس – ليبيا
(1871 -1816)ح. م . 1985 ، ص 36 ، 37.

[31]. ، أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، بداية الاحتلال ، ش.و.ن.ت الجزائر 1982 ، ص 12.

كان يستقبل الطلبة من مختلف الجهات خصوصا من منطقة زواوة والجزائر وما حولها. كان يدرس التفسير، وصحيح البخاري وألف الكثير من مؤلفات الطائفة الأولى من العلماء الذين تولوا المناصب العامة وليس لهم الكفاءة كمنصب القضاء والإفتاء. وهاجم متناولي الدخان ونص على تحريمه، ورد على من أفتى بإباحته ونشر منظومة المكودي في التصريف يقع في مجلد كان فراغه من تأليفه سنة 1048هـ.

وبعد وفاة أبيه عام 1045هـ خلفه في إمامة المصلين والخطبة أيام الجمع والأعياد والسهر.

كان يخطب خطبا حروفها من نار تلدغ أكباد من يسمعها وكلماتها تهز القلب في معانيها. كان يهذب، ويرسم، يعلم، ينير العقول ويرسخ في القلوب محبة الحياة كنز مخبوء لا نستطيع استخراجه إلا بالعلم وهذا الكنز هو المعرفة التي تدعو أبناء أمتنا إلى التطور وتنشتل الأمة من الضعف وتمنعها من أن تسير إلى مهاوي الردى.

تقلد عبد الكريم الفكون إمارة ركب الحج وحصل على لقب شيخ الإسلام بعد أن بلغ نفوذه العلمي والروحي ذروته. تخرج على يد الفكون مجموعة كبيرة من الطلاب النجباء الذين ذاع صيتهم ومن أشهرهم بومهدي عيسى الثعالبي وأبو سالم العياشي المغربي ويحي الشاوي وبركات بن باديس وغيرهم.

كان الفكون من أعلام عصره في الحديث والفقه والنحو، بارعا فيه، أديبا، حكيما، عالما، عارفا، قويا ومتبحرا بأمور الدين ، واستطاع العلماء أن يخلّدوا أنفسهم بالعلم، فهو المصباح الذي يبدد حلكات الظلام، وبالعلم تسمو الأمة وتتسم معارج الرقي وتشاد الحضارات وتبنى الأمجاد.

جمع العالم الفكون بين علم الظاهر والباطن وقد تحدث عنه علماء عصره وتلاميذه. ونوهوا بمكانته المتميزة في العلم فقال عنه المقرى: «عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها».

وما نستنتجه من خلال أعماله وإنجازاته المتواترة ومشاركته العلمية في إمامة، ترعرع في هذه المحطة العلمية وكانت أبرز المناطق التي شهدت مواكبة من تلاميذه ينهلون العلم على يده.

تابع الشيخ جميع مراحل دراسته في مدينة قسنطينة، وكان يحب المطالعة كثيرا إذ أكمل دراسته في زواية العائلة ، تغلغلت في نفوس طلبته وطربت لها القلوب، لأنها نابعة من روح صادقة ومبدعة.

---

[32]. أحمد مريوش : الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، منشورات المركز الوطني للبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة التحرير ، الجزائر 2007 ، ص28.

اللغة نسيم ينساب إلى النفوس فيحرك الجوارح بسكونها [33].

تحصل على العلم بأقدام ثابتة وبنفس هادئة مطمئنة تعرف حقها وتؤدي واجبها، لقد ذاق حلاوة العلم وازداد شوقه إلى البحث عنه ، توفي عشية يوم الخميس 27 ذي الحجة 1037هـ الموافق ل3 أوت 1663م عن عمر يناهز خمس وثمانين سنة.

2- الشيخ محمد بن علي الخروبي [34]:

يُدعى نزيل الجزائر، حيث سكن بها وطالت فيها إقامته، نُسب إلى صفاقس وطرابلس والجزائر، كان خطيبا فصيحا، له الكتب العديدة، واعتنى اعتناء مثمرا بالتفسير والتصوف، تولى الخطابة في أحد مساجد الجزائر، وخصص جهده للتأليف والدعاية لصالح الطريقة الشاذلية والدفاع عنها، وركز في مؤلفاته على الأوراد والأذكار وعلوم التصوف، وله شرح على حكم ابن عطاء الله في التصوف، أصول الطريقة لأحمد زروق، كفاية المريد وشرح الصلاة المشيشية، بالإضافة إلى تفسير القرآن الكريم...

خدم الخروبي الوجود العثماني في المغرب العربي، وخاصة في الجزائر، خدمة جليلة بقلمه ودرسه وطريقته الصوفية ، ولسنا ندري هل كانت هذه الخدمة من باب التقرب والتزلف للسلاطين لأغراض دنيوية، أم هي فلسفة خاصة في طريقته الصوفية؟ ومهما يكن من أمر فإنه عاش في حماية الدولة له في الجزائر، وسخّر فكره وقلمه ولسانه لخدمة الطريقة الشاذلية والطرق القريبة منها كالقادرية، و ترك أثرا كبيرا في معاصريه.

قام الخروبي بعدة أسفار إلى المغرب، حيث زار فاس ومراكش، وأخذ عنه علماء المغرب، مما يجعلنا نتساءل عن كنه هذه الصلات بين الخروبي وعلماء المغرب؟ فهل كانت لأغراض علمية بحتة، واكتفى بالمناظرات والنقاشات التي كانت تجرى على مستوى المساجد والزوايا، وتناول فيها المواضيع الفقهية والشرعية؟ أم كان ذلك بإيعاز من العثمانيين في الجزائر لحل المشاكل الحدودية التي كانت تنشب بين البلدين من حين لآخر؟

ذهب محمد الخروبي إلى المغرب في شأن الحدود بين البلدين بعد أن هاجم السلطان محمد الشيخ تلمسان، حيث أرسله صالح باي سنة 1552م على رأس سفارة عثمانية إلى المغرب، لعقد سلام بين محمد الشيخ السعدي (سلطان المغرب)

---

[33]. أبوالقاسم سعدالله : تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص 183. بن خروف، عمار، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 16م، دار الأمل، تيزي وزو 2006، ص139.

[34]. لخضر عبدلي : الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، 2005 ، ص 86/85.

والأتراك العثمانيين في الجزائر، لتتفق معه على الحدود وتعمل على التوصل إلى التحالف بين القوتين الإسلاميتين المتجاورتين ضد الكفار، وهذا إن دلنا على شيء فإنما يدلنا على مكانة الخروبي عند العثمانيين والمغربيين على حد سواء، ويجعلنا نستخلص مدى الحكمة والحنكة السياسية التي يتمتع بها هذا العالم حتى يتولى مثل هذه المسؤولية الحساسة التي تتعلق بتهدئة التوتر الحاصل بين البلدين الجارين، خاصة إذا علمنا أن الإسبان والبرتغال كانوا يعملون على تذكية هذا الصراع واستمراره لإضعاف العثمانيين[35].

من هنا نثمن الرأي القائل بأن الخروبي خدم العثمانيين خدمة جليلة، وكانت وفاته بالجزائر سنة 963هـ.

3- .الشيخ سعيد قدورة[36] :

هو سعيد بن ابراهيم بن عبد الرحمان، وشهرته قدورة، تونسي الأصل، جزائري المولد والنشأة، ولد ليلة الإثنين 27 رجب سنة 1034هـ، الموافق 5 ماي 1625م، تفقه بالجزائر على يد الشيخ محمد بن أبي القاسم بن إسماعيل المطماطي، رحل إلى تلمسان، وقرأ على أبي عثمان سعيد المقري. عاد إلى الجزائر وتولى الفتوى بها وأقرأ وعلّم بالجامع الأعظم.

كان عالما متفننا زاهدا ورعا، موصوفا بالصلاح، كان من أكابر الرجال، زكي الأخلاق والأفعال، له شرح على متن السلم لعبد الرحمان الأخضري، وحاشية على شرح العقيدة الصغرى للسنوسي، ولم يكن قدورة مفتيا فقط، ولا مدرسا فحسب، بل كان أيضا يخلط العلم بالتصوف، كان يدرس لطلابه كتب ابن عطاء الله كما كان يدرس لهم صحيح البخاري ورسالة القيرواني وسلم الأخضري وصغرى السنوسي.

انفرد قدورة بالإفتاء أواسط سنة 1028هـ، وظل في هذا المنصب إلى وفاته سنة 1066هـ، وورث هذا المنصب لولديه محمد وأحمد من بعده ، وتدرج في الوظائف من إمام جامع البلاط، إلى خطيب جامع سيدي رمضان، إمام وخطيب ومدرس الجامع الكبير، مفتي المالكية ووكيل أوقاف الجامع الأخير [37].

وكان قدورة محظيا عند الباشوات لدرجة أنهم كانوا يقفون له إجلالا ويقبلون يده، ويقدمونه على المفتي الحنفي (شيخ الإسلام) الذي كان يمثل المذهب الحاكم، وقد انتفع به جمع غفير من الناس إلى أن توفي سنة 1066هـ- 1656م، ودُفن بزاوية الشيخ أحمد بن عبد الله الجزائري.

---

[35]. لخضر عبدلي : الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، 2005 ، ص91.

[36]. الموسوعة الحرة https://en.wikipedia.org/wiki/Wikipedia

[37]. أبوالقاسم سعدالله : تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص223

4- الشيخ علي الأنصاري :

الفقيه العلامة أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري، يُنسب لسعد بن عبادة السجلماسي الجزائري، نشأ بسجلماسة ثم ارتحل إلى فاس، وأخذ عن بعض مشايخها "عبد الله بن طاهر الحسني، ابن أبي بكر الدلائي قرأ عليه البخاري نحو إحدى وعشرين مرة، والشفاء والموطأ ورسالة القشيري والتنوير والحكم، وعن أبي عباس أحمد المقري قرأ عليه الموطأ والرسالة ومختصر خليل وابن الحاجب وغير ذلك.

ثم سافر إلى الحجاز بعد الأربعين من العمر فأخذ عن الغنيمي والأجهوري، ودخل مصر سنة 1043 وقرأ بها، ثم عاد إلى المغرب واستقر بمدينة الجزائر، وتصدى لإفادة طلبته، وتآليفه كثيرة غالبها نظم في فنون مختلفة وله شرح على الأجرومية وتحفة بن عاصم وشرح الدرر اللوامع لابن بري وكتاب اليواقيت الثمينة في الفقه، وله مؤلف في تفسير القرآن، وتأليف في رجال البخاري، منظومة الدرة المنيفة في في السيرة الشريفة... وغيرها[38].

كان الأنصاري يدرس في الجزائر أصول الدين والبيان والمنطق والنحو ومصطلح الحديث والفقه والحديث والسير والتصوف... وكان على صلة وثيقة بيوسف باشا، وهي صلة مصالح ومنافع، لأن الباشا كان بحاجة لتأييد العلماء، والأنصاري كان بحاجة لقوة تحميه لأنه كان غريبا عن البلد ، وكانت وفاته سنة 1057هـ- 1648م بالجزائر، ويقال أنه توفي شهيدا بالطاعون [39].

• المحاضرة رقم 04-05

3- الشيخ أبو القاسم الزياني

[38]. نوال سقاي : المرجع السابق ، ص 49

[39]. إبراهيم حركات: التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، دار البيضاء 1985، ص22.

هو أبو القاسم بن احمد بن محمد بن علي بن ابراهيم الزياني، رحالة وأديب ووزير مغربي من قبيلة زيان الصنهاجية نواحي فاس، ولد سنة 1147 هـ، درس في القرويين، اتصل بالبلاط الملكي سنة 1169هـ، تقلد الولاية على وجدة وتازة ومكناس وطنجة وغيرها [40].

عين الزياني كاتبا بالقصر الملكي، وفي سنة 1200= 1786م عين لسفارة إلى استنبول، وعند العودة إلى فاس استأنف أعماله ونشاطه متنقلا من منصب إلى آخر أعلى منه في عهد السلطان محمد بن عبد الله، لكن بعد وفاة هذا الأخير تعرض الزياني في عهد مولاي يزيد لشتى الإهانات وصودرت أمواله وأدخل السجن [41].

وبعد وفاة يزيد ومجيء مولاي سليمان للحكم عاد للزياني شأنه ونشاطه،وعين على وجدة لإخماد فتنة آنقاد الذين عاثوا في شرق المملكة، فهوجم الوالي وخاف الزياني أن يحمله المسؤولية، فلجأ إلى المغرب الأوسط.

نزل الزياني بوهران ضيفا على الباي محمد الكبير ثم التحق بتلمسان وقضى مدة طويلة بين علمائها، ثم قصد الجزائر فأكرمه أهلها وحكامها.

كان يفكر وهو في الجزائر أن يستقر بتلمسان غير أن ضغوطا عديدة من المغرب جعلته يغادر، ويرجع في النهاية إلى بلده، توفي في رجب 1249= نوفمبر 1833 بعد حياة طويلة ونكبات لم تمنعه من التأليف والمطالعة.

من أشهر كتبه:

- الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب (في التاريخ العام).

- البستان الظريف في دولة اولاد مولاي علي الشريف (تاريخ الدولة العلوية).

- رسالة السلوك فيما يجب على الملوك (في السياسة).

- الترجمانة الكبرى (في رحلاته خارج المغرب الأقصى).

7- عبد الرحمن الثعالبي [42]:

---

[40]. أبوالقاسم سعدالله : تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق.

[41].الموسوعة الحرة https://en.wikipedia.org/wiki/Wikipedia

[42]. عبد الحميد حاجيات : تلمسان مركز الأشعاع الثقافي في المغرب الأوسط ، مجلة الحضارة الأسلامية العدد 01 أفريل 1993 ، ص 34.

عبد الرحمن بن محمد الثعالبي الجزائري أحد أعلام القرن التاسع الهجري ليس فقط على مستوى القطر الجزائري ولكن على المستوى العالمي ، ذلك أن الإنتاج الفكري للثعالبي قد طوى

الآفاق وانتشر في مختلف مكتبات العالم العربي والغربي....[43]

كان معروفا عن الشيخ عبد الرحمن الثعالبي ، أنه عالم زمانه في القطر الجزائري في علوم التفسير ، العقيدة ، الفقه ، والتصوف ، وغيرها من العلوم الدينية الأخرى التي خلدها من خلال مؤلفاته العديدة .

-الجهود العلمية للشيخ

يقول الشيخ الثعالبي في كتابه الجامع الذي ذيل به شرحه لمختصر ابن الحاجب الفرعي ما نصه:" وينبغي لمن ألف أن يعرف بزمانه وبمن لقيه من أشياخه فيكون من يقف على تأليفه على بصيرة من أمره ويسلم من الجهل به وقد قل الاعتناء بهذا المعنى في هذا الزمان وكم من فاضل انتشرت عنه فضائل جُهل حاله بعد موته لعدم الاعتناء بهذا الشأن"[44].

-مؤلفاته

- الدر الفائق،الأنوار المضيئة بين الحقيقة والشريعة،وله ايضا، جامع الأمهات للمسائل المهمات مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر وهو في الفقه . وله رياض الصالحين وتحفة المتقين في التصوف مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائر تحت رقم 833. وله مخطوطات في التوحيد واللغة والفقه في تنبكتو بالنيجر الشاوي التاريخي.

4- العلامة المفتي ابن العنابي الجز ائري :

اسمه ونسبه وأسرته:

هو أبو عبد الله، محمد بن محمود بن محمد بن حسين بن محمد بن عيسى الأزميتلي (أوالأزميرلي) الجزائري، الحَنَفي، الأَثَري، الشهير بابن العُنّابي وُلد سنة 1189 -كما ذكر عن نفسه- في الجزائر[45].

---

[43]. الموقع الرسمي لوزراة الشؤون الدينية والأوقاف www.marw.dz

[44]. https://marefa.org/

ونشأ في أسرة عريقة في العلم والوجاهة؛ فأبوه محمود من علماء الحنفية وأحد أعيان البلد (ت1236)، وكان جدّه محمد قاضيَ الحنفية بالجزائر (ت1203)، وأبوه حسين كان مفتي الحنفية بها، ولقبه شيخ الإسلام، وله تفسير (ت1150)، وأخوه لأمّه الشيخ مصطفى العنّابي كان من فقهاء الحنفية كذلك، وله مؤلفات (ت1131)، يرجع أصل الأسرة إلى نواحي تركيا، التي نزحت لعُنّابة، ثم استوطن بعض أجداد المترجم مدينة الجزائر [46].

شيوخه:

لعل شيخه الأكبر هو والده، فقد قرأ عليه من القرآن، وتلقى عنه الفقه الحنفي، ومختلِفَ العلوم المتداولة، وقد تلقى عنه أيضاً صحيحَ البخاري قراءة وسماعاً لجميعه، وأجازه.وقد أدرك المترجم جدّه محمداً، وسمع عليه قطعة من صحيح البخاري، وحصل على إجازته، ومن أكبر شيوخه مفتي المالكية علي بن عبد القادر بن الأمين، فمما قرأ عليه: بعض صحيح البخاري، وجملة من صحيح مسلم، وتلقى عنه بعض المسلسلات، وأجازه.

مسيرة حياته وأعماله [47]:

وُلّي المترجم القضاء سنة 1208 وهو دون العشرين، ولم تمضِ سنتان حتى عَزَل نفسه، وذلك أنَّ والي الجزائر الداي حسن باشا كان ألزمه بأمر مخالف للشرع، وهذا يدل على ورع المترجم وقوته في الحق.ثم عاد للقضاء بعد عدة أشهر، واستمر إلى سنة 1213، وفيها توفي مفتي الجزائر، فتولى مكانه، وذلك إلى سنة 1236، مع وجود تقطع يسير، ووظائف أخرى: كالسفارة للمغرب ونقابة الأشراف.

وفي سنة 1236 حج المترجم مع والده برفقة محمد أفندي -أخي الداي حسين باشا والي الجزائر- وفي طريق العودة استقر المترجم في الإسكندرية، ثم توجّه للقاهرة، وبقي يدرّس ويفيد في الأزهر نحو تسع سنوات، وأخذ عنه عدد من العلماء، منهم العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، والشيخ إبراهيم السقا.

وفي أواخر سنة 1244 أرسل له حسين باشا والي الجزائر سفينة خاصة يطلبه للمجيء، فذهب إليه، وفي طريقه مرَّ بتونس، وأخذ عنه بعض علمائها، ووصل إلى الجزائر أوائل سنة 1245، وفيها قدّمه الوالي، وقلّده الإفتاء من جديد.

---

[45]. السعي المحمود في نظام الجنود، وهو أجلّ مؤلفاته وأشهرها.

[46]. أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج01 ، ص 189.

[47]. محمد شاطو : السلطة العثمانية في الجزائر وعلاقاتها بالطرق الصوفية ، (1830/1792) ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، العدد 03 ، ديسمبر 2008 ، جامعة معسكر ، ص ص 153-171.

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى في ربيع الآخِر سنة 1267، عن ثمان وسبعين سنة، وأرَّخ وفاته الشاعر محمد عاقل بقوله: ((اليوم رمس مفتي الإسكندرية))، وذُكر أن أسرة المترجم ما تزال حتى اليوم بالإسكندرية، وتُعرف بأسرة المفتي الجزائرلي.

مؤلفاته وآثاره:[48]

ذُكر أن له تآليف كثيرة، ومنها:

1- صيانة الرياسة ببيان القضاء والسياسة.

2- شرح الأصول.

3- شرح ((الدر المختار)) (في الفقه الحنفي)، وصل إلى ثلثيه، وقرَّظه عالم تونس محمد بيرم الرابع.

4- العقد الفريد في التجويد.

5- التوفيق والتسديد في شرح الفريد في التجويد.[49]

6- إمعان البيان في بيان أخذ الأجرة على القرآن.

7- شرح التوحيد للبركوي، لم يتمّه.

8- خاتمة في التوحيد.

9- المقتطف من الحديث، اقتطفه من صحيح ابن حبان.

10- المنتقى من الصِّحاح، في الحديث.

11- المنتخب من فوائد المنتقي لزوائد البيهقي للبوصيري، أفادني أحد الفضلاء أنه بخط المترجَم في دار الكتب المصرية.

---

[48]. نوال سقاي : ، المرجع السابق ، 43.

[49]. للكتاب عدة نسخ مخطوطة في تركيا ومصر وتونس (انظر: رائد التجديد ص57-58)

12- التحقيقات الإعجازية بشرح نظم العلاقات المَجازية، في البلاغة والأدب.

13- رسائل ثماني عشرة في وقف العقار.

14- رسالة في أداء زكاة الفطر.

15- رسالة خاصة بالمرأة.

وله أيضاً فتاوى كثيرة منثورة، وإجازات متعددة، ومراسلات مع العلماء والساسة، وله أيضاً تقاريظ وتعاليق على بعض الكتب.

ثالثا : اللغة العربية والأدب العربي:

من المعروف آن انتشار اللغة العربية في مناطق العالم الإسلامي ومنها المغرب الأسلامي (الجزائر) ، كان مرتبطا بدخول الإسلام إليها وانتشاره فيها، وفي نفس الوقت أشارت الدراسات أنه منذ إدخال الحروف العربية بدأت عملية أسلمة إفريقيا [50].

انتشرت العربية بشكل شبه تام و يرجع ذلك إلى تجدر الإسلام لدى الحكام والمحكومين وكذلك إلى بلوغ العرب مراكز القرار ، كتابا ووزراء ، ومستشارين وأضحت لغة المراسلات ، كما ذكر العمري انه ورد كتاب إلى سلطان مصر بالخط المغربي في ورق عريض السطر إلى السطر [51] . وقد لعب التجار والدعاة واستقرار الجاليات العربية دورا حاسما في انتشار الفقه العربية والبربرية دورا حاسما في انتشارا اللغة العربية ، واكتسبت اللغة العربية مسحة من التقديس [52] وقد ساعد على إقبال سكان حواضر الجزائر على اللغة العربية أنها لغة الدين الذي آمنوا به والقرآن الذي يرددون بعض آياته في عبادتهم، ثم الجد والنشاط الذي أبداه العرب في تعليم اللغة العربية.

فإذا ما أضفنا إلى ذلك المساواة التي بسطها الإسلام على من اعتنقه بحيث يكون الجميع متساوي في الحقوق والواجبات، والأخلاق الفاضلة التي جاء بها العرب أدركنا بالفعل أن اللغة العربية بلغت مكانة مهمة وكان لها الفضل

---

[50] .**Constant Hamès :**« Les manuscrits arabo-africains : des particularités ? », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée,* p99-100 | novembre 2002, URL : http://remmm.revues.org/index1182.html .31 mai 2010.

[51] . ابن فضل العمري : المصدر السابق، ص74.

[52] . إبراهيم علي طرحان. المرجع السابق ،ص153 .

الكبير في انتشار الإسلام والتعليم وكل العلوم المتصلة بهما من نحو وصرف وتفسير القرآن وفقه وأدب وتاريخ وغيرها[1] ، فسار القانون الإسلامي أو الشريعة والمعتقدات والممارسات ، جنبا إلى جنب مع اللغة العربية لمحو الأمية [2].

وكانت فكرة التمييز بين الحروف العربية عن طريق النقط التي ابتكرت في القرن الهجري الأول كد اكسب الحرف العربي مرونة جعلته قادرا عن التعبير عن أصوات الكثير من اللغات غير العربية[3]، ساعد وجود العرب والبربر في أغلبية مدن وقرى بلاد الجزائر على انتشار اللغة العربية نتيجة الزواج والمصاهرة [4]، فكان من عاداتهم أن يقوم رجال من العلماء في تلك المناطق بتعليم الناس القرآن العظيم وتفقيههم في الدين .

وعلى يد هؤلاء المعلمين الأوائل انتشرت علوم الدين، وتقرب الناس إليهم للاستفادة منهم والأخذ عنهم، سواء رغبة في فهم الدين ليؤهلوا للاندماج في هذا المجتمع الجديد أو طمعا في مكانة دنيوية، وبهذا وجدت عوامل مشجعة لتعلم اللغة العربية [5] وغدت اللغة العربية مع توسع الإسلام في كثير من مناطق الجزائر وحواضرها بالخصوص لغة التجار والعلم والثقافة والإدارة ولغة التخاطب بين القبائل المختلفة الألسن واللهجات، وأصبح الحرف العربي يستعمل في كتابة اللغات المحلية ،وتأثرت بنحو اللغة العربية وصرفها وأوزان شعرها [6] .

واقترضت اللغات الأمازيغية الكتابة بالعربية وأخذت الكلمات والأسلوب والنموذج وساهم العلماء في انتشار العربية التي أصبحت لغة الأفكار ، ويعود سبب الاندماج في أن أصل بعض الكلمات الأمازيغية سامية تعود إلى تأثير العهد الفينيقي والقرطاجي منذ أن كان البحث عن العبيد والتبر وريش النعام [1].

---

[1]. ابن خلدون: المقدمة، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت- لبنان ، 1413ه/1992م،ص 462 .

[2] . Lisa Lindsay : The Influence of Islam on West Africa. www.spice.stanford.edu.com

22/10/2010

[3]. يوسف الخليفة أبو بكر: الحرف العربي و اللغات الإفريقية ، مجلة المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، تونس 1985. ص 171.

[4] ،ابن بطوطة :المصدر السابق ص 681 .

[5]. عبد السلام عبد العزيز فهمي : نصاب الصبيان ومسيرة ستة قرون في تعليم اللغة العربية للمسلمين غير الناطقين بها ط1 جامعة ام القرى ،المملكة العربية السعودية 1405

[6] jon.hunwik.the influence of arabic in west africa .ahistoricol survez. Trans tion. of the historical.society of chan .v.v//.p 24-41.WWW. *books.google.com/books.*

[1] .Maurice DELAFOSSE :LES NOIRS DE L'AFRIQUE .op.cit.p27.

وهكذا يتضح لنا أن انتشار اللغة العربية كان واسعا، فالمعارف تدرس وتستوعب باللغة العربية وكذلك الكتابات الرسمية والثقافة، رغم أن دروس المساجد تقدم باللهجات المحلية العامة، لكن طلاب العلم يدرسون بالعربية [2] وما كان للعربية أن تبلغ هذه الدرجة لولا الإسلام الذي كان واسع الانتشار من قرون طويلة وهذا يقودنا إلى القول أن الإسلام كان ذا دور حاسم في تعريب المنطقة لسانا [3].

لقد شارك الجزائريون في الدراسات العربية ذاتها وازدهرت مواطن كثيرة لها في بلادهم ونبغ منهم الكثير في الفقه والأدب والتاريخ ومختلف العلوم الإسلامية، وكان لهم فضل المشاركة في بناء صرح الثقافة العربية والإسلامية، وقد تكون هذه المساهمة أقل من إضافات غيرهم من الأمم في الكم والنوع [4] .

ولو القينا نظرة على ما تزخر به المكتبات الخاصة والعامة في إفريقيا من كتب التراث الإسلامي، لأخذتنا الدهشة من كثرة ما عرفته هذه المنطقة من أسماء العلماء والأدباء

والمؤرخين والكتاب الذين لم يعرفوا لغة للثقافة والعلم سوى العربية [1].

ففي هذه المصادر نجد لوائح طويلة من أسماء العلماء والشعراء والكتاب الذين لا يقل نبوغهم عن نظائرهم في أقطار العالم الإسلامي [2] .

وبالرغم من تأثر العربية باللهجات المحلية من خلال دخول عدة مصطلحات، وكذلك من خلال تغيير بعض الحروف ومخارجها ومدلول بعض الكلمات[3]، فقد استمرت اللغة العربية إلى جانب اللهجات المحلية كلغة للتعامل والثقافة قبل أن يعمل الاستعمار الأوروبي على فرض ثقافته [4] في محاولة متعددة للقضاء على مؤثرات الثقافة العربية الإسلامية [5].

---

[2] . محمد فاضل علي باري سعيد إبراهيم كردية : المرجع السابق، ص 125 .

[3] . عز الدين عمر موسى : المرجع السابق،ص 111.

[4] . جمال زكريا قاسم : العلاقات العربية الإفريقية دراسة تاريخية للآثار السلبية ، للاستعمار ، مجلة الدراسات الإفريقية ،القاهرة ، العدد 547 ، 1977 ،06.

[1] . حسن عيسى عبد الطاهر : المرجع السابق ، ص 25 .

[2] . عبد العلي الود غيري : اللغة العربية : الماضي والحاضر والمستقبل ، www.biblioislam.net.12.11.2010.

[3] . حسن احمد منصور : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ط1،دار الفكر العربي ،القاهرة ، 2001 ، ص 45 .

[4] . جمال زكريا قاسم : المرجع السابق، ص 07 .

[5] . نفسه ، ص 46 .

لقد اهتم سكان الجزائريون باللغة العربية لسان القرآن ، ووسيلة اتصال بالعرب القادمين من المشرق ، وأداة مهمة في التجارة والسفر في موكب الحج .

كانت اللغة العربية تدرس بالحروف الأبجدية والهجائية حيث ترسم الحروف بصور مألوفة وذلك قصد تقريبها إلى الأذهان فمثلا الحاء يشبهونها بالكماش الذي يصنع من الخشب ، والعين يشبهونها بفم الثعلب حتى يفرقون بينها وبين الهمزة ، وهكذا لا يخلو حرف من حروف العربية إلا ويقربونه بشكل مألوف يرسخ في الأذهان [6] ، إلا أن المشكل المطروح هو النطق السليم للحروف وإخراجها مخارجها الصحيحة ،وهي مشكلة شائعة في تعلم اللغات حتى في أيامنا هذه .

وكان اهتمام أهل الجزائر بالنحو والصرف بالغا فبواسطته يتم التعبير بالغة العربية مشافهة أو كتابة أو حلقات العلم والمساجد [7] .

أما مقررات النحو والصرف فتشمل الحصن الرصين في الصرف و يبتدئون الدراسة النحوية بكتاب الاجرومية للشيخ عبد الله بن محمد الصنهاجي (ت 726هـ)ثم منظومة ملحمة الإعراب للحريري ثم قطر الندى لابن هشام (ت761) ثم ألفيه بن مالك (672هـ) وبعض الشروح [8] .

وفي الأدب -الشعر والنثر- يدرس طلاب حواضر الجزائر مقصورة ابن دريد والبردة للبصيري ، وقصائد مدح الرسول ﷺ وقصائد شعراء الجاهلية ، ومع شروحها ، لكن المتتبع لمنتوج الأدب في الجزائر كان قليلا ولم يبرز مثقفين جزائريين بالعدد الكبير ولم تكن لهم مؤلفات خاصة بهم إلا القليل جدا وربما أهملتهم كتب التراجم [1] أما في النثر الفني فيعد كتاب المقامات للحريري الأكثر رواجا لدى الطلاب والعلماء على حد سواء ،وفي البلاغة والعروض نجد الاهتمام بها قليل ومن كتبها ألفية السيوطي وكتاب الوافي ومقصورة الخزرجي في العروض ، وقد ساعد الطلاب في التمكن من هذه الكتب علماء حذقوا عملهم ،وتمكنوا من فنهم لغة ونحوا وبلاغة ،تلاوة وقراءة وتفسيرا [2] وهؤلاء العلماء والصالحين الذين توافدوا على المنطقة وساهموا كثيرا في نهضة البلاد وبث روح الثقافة بينها واستطاعوا أن يقفوا على الكثير من العادات السيئة

---

[6] . علي يعقوب : المرجع السابق ، ص06 .

[7] . احمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج ، ج 2،المرجع السابق، ص 377.

[8] . علي يعقوب : المرجع السابق، ص07.

[1] . عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي ،المرجع السابق ، ص 60.

[2] . عز الدين عمر موسى : المرجع السابق ، ص 122 .

ويحاربونها [3] وتعد اللغة العربية وآدابها الأساس في التعليم إذ بها تغذى المراحل العليا التالية في تنبكت أو القاهرة أو فاس إذا أراد الطالب متابعة تحصيله [4] .

• محاضرة رقم 06

1-انتشار التعليم:

لا تتم دراسة الحياة الثقافية في عصر من العصور للأمة الإسلامية إلا بدراسة المؤسسات العلمية ، من كتاتيب ومكتبات ومدارس كمراكز للإشعاع الحضاري ثم تتبع التعليم ومراحله ومناهجه ثم الحكم على مستواه ، حسب الفترة المحددة بالدراسة.

والحقيقة التاريخية الشائعة أن العلم سنة واضحة لازمت المجتمع الإسلامي ،حيث بذل المسلمون جهدا كبيرا للتفقه في الدين وهو مكان شائعا في كافة الأقاليم والحواضر الإسلامية . ولم تكن غرب إفريقيا لتشذ عن هذا الإطار، فقد حث القرآن على القراءة وطلب العلم ،ونوه في مواطن كثيرة بمنزلة العلماء الرفيعة وأهمية العلم وطلبه فيقول الله تعالى :((قل هل يستوي اللذين يعلمون واللذين لا يعلمون)) وقال تعالى ((يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) ومن أحاديث النبي((ص)) ((يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء)) .

كما أن الإسلام في حرصه علي التعليم لم يفرق بين البنين والبنات ، وروي أن الرسول (ص) كان يطلق الأسير المتعلم من الكفار إذا علم عشرة من المسلمين الأميين القراءة و الكتابة .

وبانتشار الدعوة الإسلامية بدأت تباشير نهضة تعليمية دعامتها في بداية الأمر العلوم الدينية مثل القرآن و التفسير و رواية الحديث ثم استنباط الأحكام الفكرية و الفتاوى الشرعية [1] .

---

[3] . -عبد الحميد بكري : النبذة في تاريخ توات وإعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر ، ط1 ، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران ، الجزائر ، 2007، ص 53

[4] . نعيم قداح : المرجع السابق، ص 161.

[1] . سعيد مرسي احمد سعيد إسماعيل علي : تاريخ التربية والتعليم ط1 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1982 ص 167

لقد حظي التعليم في حواضر الجزائر برعاية كبيرة من الحكام والأهالي نظرا لما كان يتمتع به العالم من تقدير و احترام بين الحكام [2] و كان النظام التعليمي السائد لا يختلف عن سائره في المشرق إذ علمنا أن المذهب الغالب هو المذهب المالكي وبالتالي العامل الجغرافي بين الإقليمين كان الأكثر تقاربا، ومما يدل على اهتمام حكام المغرب الأوسط بالتعليم ،.أن اغلب هؤلاء كانوا يرسلون طلاب العلم إلى بلاد المغرب للتزود بالعلم [3] .

كما اهتم حكام الجزائر اهتماما كبيرا بالإسلام ونشره ، واللغة العربية وتعليمها ، وأسسوا مراكز للعلم في كل أرجاء الدولة ، وعلى رأسها مدينة الجزائر حاضرة العلم والعلماء في العصر الحديث ، ،فكان بها اكبر نسبة من العلماء و القضاة ولهم رواتب منتظمة من الدولة ،وفيها مكتبات كبيرة وحلقات العلم في المساجد وكانت بذالك تنبكت اقرب إلى الجامعة في العصور الحديثة [1] .

وقد ساهم توفر المدرسين و العلماء و مؤسسات التعليم في ازدهار الحركة العلمية في الجزائر ، كما ساهمت الكتب في ترسيخ تقاليد فضلها وقد تحدثت المصادر التاريخية عن العدد الهائل من التلاميذ وحفظة القرآن في حواضر الجزائر ذات الدور السياسي و الاقتصادي منذ القرن العاشر هـ/السادس عشر م [3].

3-أ- مراحل التعليم :

كان نظام التعليم عند المسلمين من مرحلتين أولي وتعليم عالي ،وقد استمر هذا النوع من التعليم إلى قرون في مختلف أقطار العالم الإسلامي [4] ويبدوا أن المدارس من النوع الأول كانت معروفة وسائدة في حواضر الجزائر ، وتشابهت معها المناهج والمقررات وأوقات الدراسة .

1- مرحلة التعليم الأولى (الإعدادي – المتوسط):

---

[2] . ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 680.

[3] .عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق ، ص 219 .

[1] . علي يعقوب : اللغة العربية وآدابها في دولة سنغاي الإسلامية مجلة علوم إنسانية ، السنة السابقة ، العدد 45 .www.ulum.nl ،2010ص11.

[3] . عز الدين عمر موسى : المرجع السابق ، ص 119.

[4] . منير الدين احمد : تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم ترجمة وتلخيص وتعليق ، سامي الصقار ، ط1 ، دار المريخ ، الرياض المملكة العربية السعودية 1981م-1401هـ ،

-التعليم الإعدادي :

يبدأ الأطفال دراستهم في الكتاب - جمع كتاتيب- وقد اختلفت تسميتها في حواضر الجزائر باختلاف قبائلها [5] .

أما بالنسبة لسن دخول التلاميذ إلى الكتاب فيبدأ منذ السن السابعة ،دراسة مبادئ القراءة والكتابة العربية ،وحفظ قصار الصور وفي هذه المرحلة كان الآباء هم الذين يحرصون على

أبنائهم ،فيعودونهم على الحفظ ،ويجبرونهم على الدوام ،كما يراقبون مدى استيعابهم [1] .

وكان الأطفال يدرسون بالقرآن ،وهو بمثابة أصل التعليم ،الذي يبنى عليه ما يحصل من بعض الملكات ويقوم التدريس على الحفظ والتقليد مع مراعاة ظروف كل طفل ومقدرته ،فمنهم من كان يسمع ويحفظ ومنهم من كان يكتب في اللوح [2] .

وبعد أن يتعلم الطفل مبادئ القراءة والكتابة أولا، يقوم المعلم بتكرار الدرس المقرر على تلاميذه إلى أن يتأكد من إتقانهم له أو حفظه ، أو يكتب التلميذ القدر المقرر على اللوح من القرآن نقلا من المصحف ثم يعرضه على الشيخ ويقراه له ويقوم التلميذ بتكراره حتى يتقنه أو يحفظه ، ثم يرجع إلى المعلم ويقرا عليه الدرس حفظا او نظرا ، فإن أتقنه يأذن له المعلم بمحو الدرس في مكان خاص ،وتتكرر العملية حيث يكتب الصبي الآيات وعندما يحفظها يمحوها هكذا [3] .

وتجدر الإشارة إلى أن التلاميذ مهما كانت كثرتهم فإن كل واحد منهم يدرس عند المعلم على حدة إلا في بعض الأحيان ،فيستعين بكبار تلاميذه لتعليم المبتدئين وهو الذي يعرف باسم (سنتارو) ويكلف بالإشراف عليهم والكتابة للصغار منهم

---

[5] . عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي ،المرجع السابق ، ص 62 ، 63 .

[1] . - عبد القادر زبادية : ملامح الحركة التعليمية في تنبكت، خلال القرن السادس عشر ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 7- 8 ، 1977 .ص32.

[2] . سعيد مرسي احمد سعيد إسماعيل علي : المرجع السابق ، ص 227.

[3] . حسن الوزان : المصدر السابق ، ج2 ، ص 153 .

. Monteil Vincent: l'islam noire-Paris 1912 ‘p116 ،

[4] وبعد أن يتم الطفل تعليمه الابتدائي الذي يتوج بحفظ القرآن كاملا ، تقيم له أسرته حفلة عظيمة يشارك فيها المعلم ويهنئه أصحابه وأسرته [5] .

وهناك إشارات عدة إلى كثرة الكتاتيب والتلاميذ على السواء وأشهر الكتاتيب بمدينة تلمسان بلغ عدد تلاميذه أكثر من مائة وثلاثة وعشرون تلميذا [1] وكذلك الحال بمكتب الفقيه ابن القاسم التواتي قبالة المسجد الجامع في الجزائر [2] .

وقد لا تكون هناك مبالغة في مثل عدد التلاميذ الهائل في مرحلة القراءة والكتابة وحفظ القرآن في تلمسان مثلا في القرن العاشر هـ/السادس عشر م ، خاصة إذا اصطحب الباحث طبيعة الكثافة السكانية في المدن الجزائرية ذات الدور السياسي والفعالية الاقتصادية [3] .

أما أوقات الدراسة فإنها تختلف من حاضرة إلى أخرى ومن معلم إلى آخر ،وتختلف حسب مستوى التلاميذ وسنهم ،ولاشك أن المعلمين كانوا يتقاضون أجورا على تعليمهم للاطفال وبدوره يختلف من حاضرة إلى أخرى حسب الظروف الاقتصادية السائدة وقد تحول التعليم إلى حرفة يرتزق منها المعلمون ،بل أصبح صناعة لاستفاء الرزق اختصت بها فئة من الناس والظاهر انه كانت هناك مستويات من المعلمين المعلم المؤدب والشيخ والإمام [4] .

- مرحلة التعليم المتوسط :

وهي مرحلة تعليمية أرقى من سابقتها ، وتتم في الزاوية أو المسجد ،ولم تكن محددة بسن معين ، فهي متاحة لجميع من استكمل دراسته في المرحلة الأولى بنجاح ،ويتولى التعليم فيها مدرسين وعلماء أكفاء في مختلف المواد الدراسية [5].

يتلقي الطلبة كافة العلوم عل يد المدرس أو الفقيه ، ويجلسون حوله على شكل حلقة (دائرة) ومع كل واحد منهم لوحه و كتبه ، وتستمر الحلقة غالبا من صبح كل يوم حتى منتصف النهار ، بعدها ينصرف الطلبة لتناول الغداء ، و تبدأ الفترة

---

[4] . علي يعقوب : المناهج والمقررات التعليمية في الجمهورية النيجيرية ، مجلة علوم إنسانية ، السنة السابعة ، العدد 45 ، 2010 WWW.ULUM.N .org

[5] . فرج محمود فرج :إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ، ط1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007 ، ص 98 .

[1] .محمود كعت :المصدر السابق ، ص 18.

[2] . عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق، ص 58.

[3] . عز الدين عمر موسى : المرجع سابق ، ص 119

[4] . - سعيد مرسي احمد ، سعيد إسماعيل علي : المرجع السابق ،ص 228.

[5] . عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق ، ص 16.

اليومية الثانية بعد صلاة العصر وتستمر غالبا حتى وقت صلاة المغرب ، وهكذا باقي الأيام ما عدا الجمعة و الأعياد ، ويبدوا أن المناخ كان له دور في تحديد هذه الفترة إذ الحرارة الممتدة من الظهر إلى العصر هي بمثابة راحة للطلاب وشيخهم على السواء.

فكان التعليم في هذه المرحلة حرا يرتبط بظروف العائلة ، واهتمام الأسرة بأبنائها ، ومتابعتهم للحفظ والتحصيل ، إذ يصف ابن بطوطة اهتمام وعناية الأولياء بتحفيظ أولادهم القرآن إذ يقول ((ودخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت له ، الا تسرحهم فقال لا افعل حتى يحفظوا القرآن[1])) ، ولم تكن هذه المرحلة محددة بوقت معين ،أو فصل أو سنة دراسية معينة بل كانت تتوقف على استعان الطالب لعدد من الكتب منها كتب الحديث والفقه ، و النحو ،و هذا يتوقف على قدرات ومهارات الطالب على التحصيل والانتهاء منها و لربما يبقى الطالب أكثر من ثلاث سنوات في قراءة موطأ مالك ، وغيره من المذهب المالكي ،والسير وعلم الحديث،ومناقشة المؤلفات والمسائل الكبيرة مع شروحها [2].

2- مرحلة التعليم العالي :

بعدما تلقن الطفل في المرحلة الأولى حفظ القرآن ،وبعض مبادئ النحو ،انتقل في المرحلة الثانية إلى دراسة الفقه والسيرة واللغة العربية وآدابها وبعد أن اكتسب رصيدا فكريا يخوله التوسع في العلم أو التخصص في جزء منه ينتقل الطالب إلى المرحلة العليا التي يلتحق فيها بأحد مشاهير علماء المنطقة أو يشد الرحال إلى حاضرة من حواضر العالم الإسلامي في المغرب والمشرق للاستزادة من علمائه فيدرس الطالب في مرحلة أخيرة القراءات و التفسير و الأحاديث وعلوم أخرى كالفلك و الجغرافيا و الحساب ، و يكون المسجد هو الجامعة التي يتلقن فيها الطلاب و يلتفون حول مدرسهم ، فكان هذا منظرا جميلا لنواة المجتمع العلمي [1].

وقد أصبح المذهب المالكي طابع الدراسات و البرامج الدراسية لان المذهب المالكي هو السائد في المنطقة [2] ،وتميز الدراسة في مرحلة التعليم العالي بالتعمق واعتمد منهج واضح يغلب عليه مذهب مالك ، حتى تتكون لدى الطالب ثروة

---

[1] . ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 691 .

[2] . عبد الحميد جنيدي : المرجع السابق ، ص 82-83.

[3] . Dubois,(F),Tombouctou la Mystérieuses, paris,1897. p 331

[4]. مطير سعد غيث احمد : المرجع السابق،ص ....

لغوية وفكرية ، وكان التسلسل في المناهج وفي برامجهم صفة علماء إفريقيا عامة وقد حبذ ابن خلدون هذه الطريقة التربوية اذ يقول : أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا فقليلا [3].

أما مدة الدراسة فقد تطول عشر سنوات أو تقصر ، وربما قضى بعض الطلاب نصف عمره في هذه المرحلة وبعد إكماله الدراسة يمنح الطالب إجازة من عدد من الأساتذة الكبار في المنطقة[4] .

وهي بالتأكيد تشبه الإجازات والشهادات الأكاديمية التي تتوج التحصيل العلمي عند الطلبة الباحثين اليوم ،وقد كانت وضعية الطالب على ما يبدو مزرية ،لان التعليم كان حرا ، يعتمد على قدرة الأولياء على دفع أبنائهم للتعليم ، وتوفير لهم أموال أو مؤن تدفع إلى المدرسين وتغطي حاجاتهم أثناء الدراسة ، ومن التقاليد المعروفة أن الطالب يدفع أجرة مدرسه [5] وقد تكون أجرة المدرس مؤونة مثلما كان الحال في إقليم توات حيث تخصص حصة سنوية من التمر والقمح لمعلم الكتاب نظير قيامه بالتعليم [6] ، ولا شك أن مؤونة سكان الجزائر هي مما ينتجه مزارعو المنطقة ، أما الأسر الميسورة الحال ، فان الجانب المادي لا يعيق مواصلة أبنائهم الدراسة ، وتشير المعطيات التاريخية أن تكلفة الدراسة تزداد مع المستويات الثلاثة خاصة في مرحلة التعليم العالي ، وهذا بالتأكيد ما يفسر قدرة العلماء على التفرغ للتدريس، والتأليف ، فكانت بذلك وظيفة العيش .

[3].عبد الرحمان ابن خلدون : المقدمة ، ص 443 .

[4] . فليكس ديبوا : المرجع السابق ، ص 233.

[5].محمود كعت : المصدر السابق ، ص180-181

[6] . فرج محمود فرج : المرجع السابق ص 98